

الرسالة إن شاء الله - وقد كنت أحسبها سيطلان علينا في هذا الحديث - وهما استاذان مساعنان بالجماعة ولهما على استاذية - بالرأى الواضح المستقيم ، ولكن الأستاذ حمودة كانت مهمته عرض آراء ومحاولات التوفيق بينها دون أن يكون له مجهود يذكر .

والدكتور أنيس اختار أشهر التأويلات باعتبار أن الأحرف هي اللهجات كالإمالة والتسهيل مع أنها في الحقيقة أصناف التأويلات وبنائها سياق الحديث . وقبل شرح المقصود منه أرى أن أربط بين الحوادث والأحداث حتى يستقيم الفهم ويتبين الموضوع .

زمن الحديث :

لم أجد - على الرغم مما قرأت - من ذكر العام ولو على وجه التقريب الذي قيل فيه هذا الحديث فرأيت أن أراجع طرقة ورواياته من الصحابة ومن ذكروا فيه ، وظروفه فخبير لي ما يأتي :

١ - ليس هناك شك في أن الحديث كان بعد الهجرة لأن فيه من الصحابة الذين رووه أو وقت منهم الحادثة . أبي بن كعب وزيد بن ثابت وأم أيوب وهؤلاء أنصار من أهل المدينة .

٢ - إن هذا الحديث كان بعد العام الثامن من الهجرة للأسباب الآتية .

( أ ) من رواه أبو هريرة وقد أسلم سنة سبع من الهجرة .

( ب ) من رواه عمرو بن العاص وقد أسلم سنة ثمان

من الهجرة .

( ج ) ممن ذكروا في طرق الحديث زيد بن ثابت على أنه

أقرأ فيه ، وزيد بن ثابت كانت سنة حين قدم الرسول المدينة أحد عشر عاماً ، ولا يكون زيد مقرناً لتبصره إلا بعد أن يتجاوز حد الحلم وعلى أقل تقدير تكون سنة ليؤخذ عنه القرآن في عهد الرسول سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً .

( د ) من رواة الحديث ابن عباس وهو قد ولد قبل الهجرة

بثلاثة أعوام ولا يشترك في الرواية ولا يهتم بها إلا بعد أن يتجاوز العاشرة من عمره على الأقل ولا يتجاوزها إلا بعد سنة سبع من الهجرة .

## أحرف القرآن

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

كان حق هذا المقال أن يسبق مقالات القبائل والقراءات ولكني أخرته عن عمد فلما رأيت من تعرض له ومن كتب من المحدثين فيه ومن استفهم من معانيه كتبت هذا المقال .

معلوم لكل إنسان أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة ولا في مكان واحد بل نزل منجماً في ثلاثة وعشرين عاماً مكة والمدينة وما حولها ؛ وكانت الآيات ينزل بها جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقها المؤمنون من فم الرسول ويكتبها من عرفوا بأنهم كتاب الوحي كما عليها عليهم الرسول الكريم . وكان الإسلام في مكة محدود الأشخاص فلما هاجر النبي إلى المدينة اتسعت رقعة الإسلام وكثر عدد المأخولين فيه من قبائل مختلفة ولم يحدث صوتية تخضع لها ألسنتهم وتتحكم في أفعالها ، فكان من سماعة الإسلام أن يترك الألسن على سجيبتها من إمالة وتضخم وما شابه ذلك من طريقة أداء اللفظ بنجمة تخضع لها عادة الإنسان النوية حيث لا يمكنهم أن ينطقوا بينها بسهولة .

وعنه الإباحة أرشد إليها الحديث الرفوع ، اقرءوا القرآن يلحون العرب وأصواتهم وفهمت من أن الرسول قرأ فأمال « يعي » فلما سئل في ذلك قال هذه لغة الأخوال بنى سعد .

أما حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف فلم يكن مقصوداً به اللهجات التي هي عادة لنوية تتحكم في عضلات النطق . وكل توجيه لهذا الحديث على أنه يراد به اللهجات التباثل ، إنما هو توجيه خاطئ أو هروب خاطئ من معناه الحقيقي الذي تظاهره جميع الروايات الصحيحة لهذا الحديث

وأخر ما قرأته متعلقاً به هو ما جمعه من عدة كتب الأستاذ عبد الوهاب حمودة في كتابه القراءات واللهجات وما حمله عليه الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه اللهجات العربية متبعاً في ذلك رأياً لبعض العلماء - ولقد نقد على كتابيها أرجو أن أنشره في

فيرجعوا إلى الرسول وإلى من كتبوه يستميدون ما تلقوه ويتكبرون ذلك والرسول يشهد ما هم فيه من معاناة وما يبذلونه من جهد ، ويعلم - كما قال لهم - أن القرآن أشد انفلاقاً من الإبل في عقلها ورأى أفراد الأمة بعد فتح مكة قد كثروا . فمن برعهم إذا اختلفت أنظاظهم ومن يردم إذا قصروا أو زادوا .

والرسول كما قال الله فيه بالؤمنين رهوف رحيم يسي إلى التخفيف عن الأمة ولا يريد أن يشق عليها فقد سأل الله من قبل أن يخفف عنهم المحبين صلاة حتى سارت خمس صلوات في اليوم والليله . فلجأ الرسول سل الله عليه وسلم إلى الله بأله التخفيف عن أمته والرحمة بها « إن بعثت إلى أمة أميين منهم النمام والخدام والشيخ الفاني والمجوز الكبيرة » فأتاه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقرى أمتك القرآن على حرف واحد فقال الرسول أسأل الله معافاته ومغفرته - سل الله لهم التخفيف فانهم لا يطيقون ذلك فانطلق جبريل ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرى أمتك القرآن على حرفين قال أسأل الله معافاته ومغفرته وب خفف عن أمي فانهم لا يطيقون ذلك فانطلق جبريل ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرى أمتك على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله مغفرته ومعافاته إنهم لا يطيقون ذلك سل الله لهم التخفيف فانطلق ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرى أمتك القرآن على سبعة أحرف فن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ ما لم تختم أية رحمة بعباد أو أية عذاب برحمة .

لقد جاءت رحمة الله وسدر الإذن بأن يقرأ القرآن بحروف مختلفة والسببة لا مفهوم لها بل هي دليل الكثرة بلسه جبريل الحروف وهي الألفاظ وأداء الجلة - كما تؤيد ذلك اللثة - على شريطة ألا يتغير المعنى ولا يختلف السياق فبدأ الرسول يلقن الصحابة ما أنزل الله عليه ، هذا يلقنه الآية بالفاظ وذلك يلقنه الآية بالفاظ مع اختلاف في بعضها وإن كان المعنى واحداً . لفته كل هذا جبريل بإذن من الله العزيز الحكيم « فأبما واحد أصاب من ذلك حرفاً فهو كما قرأ »

فبدأ المسلمون وقد حفظوا ما لقمهم فدخل عمر بن الخطاب المسجد فسمع هشام بن حكيم وهو قرشي مثله يقرأ سورة البقرة بخلاف ما لفته الرسول فكاد يساوره في الصلاة فغصبر حتى سلم

( ه ) وأقوى دليل وأثبت أنه أن النزاع في القراءة كان بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم وقد أسلم هشام يوم فتح مكة وكان فتحها في العام الثامن الهجري في أواخر رمضان ولم يرجع الرسول إلى المدينة إلا في ذي الحجة فسل أقل تقدير يكون الحديث في أوائل العام التاسع الهجري .

( و ) من الذين رووا الحديث من الصحابة أبو بكره تميم ابن الحارث وقد أسلم في حصار الطائف ، وقد كان ذلك في أواخر شوال وأوائل ذي القعدة من العام الثامن الهجري .

( ز ) يضاف إلى هذه الأدلة القاطعة أن الحكمة التي قصدها الإسلام من الحديث والتي ستظهر لنا بعد الشرح كان وقتها المناسب حينما كثرت السلون كثرة تجعل من المسير الإشراف عليهم جيماً ولم يكثروا إلا بعد فتح مكة .

وإذن لقد هاجر رسول الله واتسعت دائرة الإسلام وكثر الأتباع وقد مضى عليهم ثلاثة عشر عاماً في مكة وثمانية أعوام في المدينة يقرءون بمادتهم اللغوية فما يصل إلينا أن بعضهم أنكر على بعض في القراءة أو شك بعضهم في تلاوة الآخر . نعم لقد مضى على الإسلام والقرآن في مكة ثلاثة عشر عاماً نزل فيها بضع وثمانون سورة ثم ثمانية أعوام في المدينة نزل فيها كثير من السور فاحدث خلاف بينهم مع إسلام كثيرين ممن لهم لهجات مختلفة من إمالة وتسهيل وغير ذلك وما أناذا خبر عن تنازعهم الذي أدى إلى أن يلبس عمر هشام بن حكيم بردائه وهما قرشيان لهجتها واحدة ويذهب به إلى الرسول ليستقره وإلى أن يدخل الشك في قلب عمر فيقول الرسول ثلاثاً : أبعد شيطاناً . وأن يدخل قلب أبي بن كعب من التكذيب ولا إذ كان في الجاهلية فيضرب الرسول صدره فيتصيب عرفاً -

العرب أمة أمية أقلهم لم يقرأ كتاباً قط « ومنهم - كما في الحديث - الشيخ الفاني ومنهم النمام ومنهم المجوز الكبيرة وهؤلاء تعجزوا كرتهم عن المنطق الوثيق وبخاصة أن القرآن قد كثرت سورته وتمددت آياته والرغبة الدينية في النفوس قوية يحرصون على تلاوة القرآن فلا تنزل آية إلا بإدراوا إلى استماعها وتلقاها ، ولكن ما يكادون يمر عليهم زمن حتى يشبهوا أن يكون هذا اللفظ أو مرادفه هو المنزل وأكثرهم لم يكتبوه لأسميتهم

أقروا كما علم وقال إنما أمك من كان تبسّم اختلافهم على أنبيائهم فقام كل رجل وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه .

هذا في الواقع هو ربط الأحاديث والتوفيق بينها وتلك مقتضيات ظروفها وملابسها تؤيدها الروايات المختلفة والطرق المتعددة وليس فيها من التمتد أو الفهم الخاطيء شيء ؛ وقد أشار إلى كثير منها أجلة العلماء السابقين من أعلام الإسلام وإن كانوا لم يوضحوها كمال التوضيح .

فليت المسألة مسألة إمامة وتفخيم وترقيين إذ يناهض فهم أنها لهجات لفظ الحديث لأبي بكر « كقولك هم وتعال وأقبل » وقول أنس بن مالك خادم رسول الله حيناً قرأ « وأسوب قبلا » فقال له بعض القوم يا أبا حمزة إنما هي أقوم فقال أقوم وأسوب وأهدى واحد .

وقول ابن شهاب ولعله الزهري : بلنبي أن تلك السجدة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام .

وقول الطبري : فقد أوضح نص هذا الخبر أن اختلاف الأحرف للسجدة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك هم وتعال بانفاق المتاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام .

وقول عبد الله بن مسعود « إنما هو كقول أحدكم هم وتعال » . وهذا كله يبين لنا السرفي بعض الاختلاف اللفظي في قراءة بعض القراء بالنسبة إلى غيرهم .

عقظ القرآن :

أما حفظ القرآن فيرجم إلى ما يأتي :

أولاً : أن جبريل كان يدارس الرسول القرآن كل عام مرة ودارسه في العام الذي قبض فيه مرتين فكان هذا نهجاً للتصوير ثانياً : إن كتاب الوحي كانوا يكتبون نص ما ينطقه الرسول ولا يستمدون على الحفظ حسب .

ثالثاً : إن سيدنا أبا بكر حينما وافق على جمع القرآن كان زيد ابن ثابت يجلس أمام المسجد وهو يحفظ كتاب الله ولكنه يخلق من الصحابة ما يكتبوه على أن يشهد شاهداً أن فلاناً هنا سمع هذه الآية من فم الرسول وأن هذا المكتوب هو نفس ما سمعه

فلما سلم إليه بردائه وقال له من أفراك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال أفرايتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت فوالله إن رسول الله لم أفراها هذه السورة التي سمعتك تقرأها فانطلق يعود إلى الرسول فقال يا رسول الله إن سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأها وأنت أفراها سورة الفرقان فقال الرسول أرسله يا عمر اقرأ يا هشام اقرأ عليه القراءة التي سمعهم يقرأها فقال الرسول هكذا أنزلت ثم قال الرسول اقرأ يا عمر اقرأ القراءة التي أفراها الرسول فقال الرسول هكذا أنزلت فوقع في صدر عمر شيء فحرف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في وجهه فغضب صدره وقال أبعد شيطاناً أبعد شيطاناً أبعد شيطاناً ثم قال يا عمر إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأفروا ما تيسر منها إن القرآن كله سواب ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عقاباً رحمة .

وإذا في صلاة أخرى كان أبي بن كعب في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكراها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه وقال كل منهم إن الرسول أفراها كذلك فدخلوا جميعاً على الرسول فقال أبي يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه فأمرها فقرأ أحسن شأنها فوقع في نفس أبي من التكذيب ولا إذا كان في الجاهلية فلما رأى الرسول ما غشبه ضرب في صدره ففاض عرقاً كأنما ينظر إلى الله فقرأ ثم قال له الرسول يا أبي أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن أهون على أمتي ... الخ الحديث .

وظل الأمر كذلك وعرف كثير منهم السبب في الاختلاف والحكمة الإلهية ولكن ما زال بعض الصحابة يذهبون إليه يشكون فهنا رجل جاء إليه فقال أفراها عبد الله بن مسعود سورة أفراها زيد بن ثابت وأفراها أبي بن كعب - وزيد وأبي أنساريان خزرجيان يماريان - فاختلفت قراءتهم فقراءة أيهم أخذت فسكت الرسول وعلى إلى جنبه فقال على ليقرأ كل إنسان كما علم كل حسن جميل . ثم ما زال بعض الناس يختلف ويشكو فهذان رجلان قد اختلفا في القراءة فقال هذا أفراها النبي وقال هذا أفراها النبي فأتى النبي فأخبر بذلك فتخبر وجهه ثم قال